



لا تأكلوا أموالكم بينكم

سورة الحشر (059)

خطبة جمعة

2026-01-02

سورية - دمشق

مسجد عبد الغني النابلسي

يا ربنا لك الحمد، ملء السماوات والأرض، وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، لا مانع لما أعطيت، ولا مُعطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، غنى كل فقير، وعز كل ذليل، وقوة كل ضعيف، ومفرج كل ملهوف، فكيف نفتقر في غناك، وكيف نضل في هُداك، وكيف نضام في سلطانك، وكيف نخشى غيرك، والأمر كله إليك، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أرسلته رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً، ليخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات، فجزاه الله عنا خير ما جزي نبياً عن أمته.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آل سيدنا محمد، وعلى أصحاب سيدنا محمد، وعلى أزواج سيدنا محمد، وعلى ذرية سيدنا محمد، وسلم تسليماً كثيراً.

المال قوام الحياة:

وبعد فيا أيها الإخوة الكرام: حُطبتنا عن المال، والمال قوام حياتنا، قال تعالى:

يَسْمِ اللّٰهُ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ
وَلَا تُؤْنُوا الشُّعْهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللّٰهُ لَكُمْ فِتَآمًا ۖ وَأَرْزُقُوهُمْ فِيْهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا (5)

(سورة النساء)

فبالمال تقوم حياة الناس، وتقوم مصالحهم في دينهم، وفي دُنياهم، وفي آخرتهم، لذلك قالوا: المال قوام الحياة.

أيها الإخوة الكرام: بادئ ذي بدء أريد أن أجيب عن أسئلة ثلاثة، تلخص لمفهوم الإسلام عن المال، كيف ينظر الإسلام إلى المال؟ من خلال أسئلة ثلاث:

أسئلة ثلاثة تلخص مفهوم الإسلام عن المال:

السؤال الأول: لمن المال الذي بين يديك؟

السؤال الأول: لمن المال الذي بين يديك؟ هذا المال الذي هو في جيبك الآن، أو في بيتك، أو في حسابك، هو في الحقيقة لمن؟ المال مال الله، هذه نظرة المسلم لماله، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَيْسَتِ الْغَنَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَانُوا بِأَيْمَانِهِمْ فِيهِمْ جُنُودًا
وَأَتَوْهُمْ مِّنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَانَكُمْ عَلَى الْيَعَاءِ إِنْ أَرَدْتُمْ تَحَصُّنًا لِّنَفْسِكُمْ وَعَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِهْهُمْ قَائِلًا اللَّهُ مِن
بَعْدِ إِكْرَاهِهِمْ عَفْوٌ رَّحِيمٌ (33)

(سورة النور)

فالمسلم لا ينظر على أنَّ ما يملكه من مالٍ، سواء كان مالاً نقدياً أو متاعاً، لا ينظر على أنه مالكٌ حقيقي للمال، ولكن المال مال الله تعالى، ويدنا عليه هي يدُ استخلاصٍ وأمانة وليست يدُ مُلك، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ ۖ قَالِيزِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفِقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (7)

(سورة الحديد)

نحن مُستخلفون على المال لا نملكه حقيقةً نملكه مجازاً:

فنحن مُستخلفون على المال، لا نملكه حقيقةً نملكه مجازاً، لكننا مُستخلفون فيه لنُنفق منه في طاعة الله تعالى، قيل لأعرابي وانظروا إلى فقه هذا الأعرابي، قيل لأعرابيٍ معه إبل > هي لله لكنها الآن في يدي، لماذا نقول عند المُصيبة إِيَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (156)

(سورة البقرة)

لأنَّ المؤمن في لحظة المُصيبة، في أحوج ما يكون عندما يفقد بعض ماله، أو بعض صحَّته، أو قريباً له، أو حبيباً إلى قلبه، هو في هذه اللحظة في أمسِّ الحاجة لأن يستحضر معنى (إِنَّا لِلَّهِ) أنا لله فليفعل الله بي ما شاء، لأنني مُلكٌ له أنا لستُ مُلكاً لنفسِي (إِنَّا لِلَّهِ) أي أنا وكل ما أملكه لله تعالى.

أيها الإخوة الكرام: لو أنك بعثت داراً لرَجُلٍ، وسلمَلكَ المال، وسجَّلَتم العقد، وأصبحت الدار التي كانت لك أصبحت له، بعد أيام اتصلت به: يا أبا فلان أرجوك العُرفة الثالثة لا تستخدمها ممنوع، كيف لا أستخدمها؟! الدار داري وأنا حُر التصرف بها، بعد قليل اتصلت به: يا أبا فلان العُرفة الثانية لا تستخدمها إلا للجلوس فقط ممنوع النوم فيها، كيف ذلك؟! فالمؤمن عندما يستحضر أنه مُلكٌ لله، في لحظات المُصيبة وفي غيرها، إذا أنا مَالِكِي هو الله فهو يتصرَّف كيف يشاء، وأنا راضٍ بتصرُّفه جلَّ جلاله، هذا معنى (إِنَّا لِلَّهِ).

أيها الإخوة الكرام: قالوا في بعض الحكَم: "إذا أراد الله أن يُظهر فضله عليك خَلَقَ وَنَسَبَ إِلَيْكَ" كيف؟ أنت أحياناً تُنفق، يقولون: فلان ما شاء الله مُحسنٌ كبير، يُنفق في سبيل الله، في الحقيقة من الذي أحسن؟ ومن الذي أعطى؟ المُعطي جلَّ جلاله، لكنه خَلَقَ الفضل ونَسَبَ إِلَيْكَ، ليُظهر فضله عليك، فنحن في الحقيقة لا نُعطي، لأننا لا نُعطي من أموالنا وإنما نُعطي من مال الله الذي أعطانا، ثم يتفضَّل الله علينا فيُثَبِّتنا على هذا العطاء.

المال لله ويدنا عليه يدُ أمانةٍ وليست يدُ مُلك:

أيها الإخوة الكرام: إذا السؤال الأول لمن المال؟ المال لله ويدنا عليه يدُ أمانةٍ وليست يدُ مُلك، وفي لحظة واحدة يتوقف القلب عن النبض، فينقل الله تعالى هذا المال إلى الورثة مباشرة وفق قوانين الميراث، لذلك المؤمن لا يقول قبل موته: والله لا أحب أن يرث فلان سأسجِّل لفلان، لأنني أعتقد أنَّ المال ليس له، وأنَّ الله سيورِّعه كما يريد جلَّ جلاله، فلا يتصرَّف في ماله فيحرم هذا ويُعطي هذا، لا يقول لا أعطى البنات، ومن أنت حتى لا تُعطي البنات؟ وهل هو مالك حتى تتصرَّف به؟ هذا مال الله وهو قال لك عند وفاتك ينتقل المال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا الشُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِلْمُتَّكِفَيْنِ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِلْأُمِّهِ الشُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِذَا كُنْتُمْ أَهْلًا لِّوَلَدٍ فَالْأُولَادُ لِمَنْ أَرَبُوا وَلِلنِّسَاءِ لِمَنْ أَرَبْنَ وَلِلْأَبَائِ وَالْأُمَّهَاتِ لِمَنْ أَرَبْنَ وَلِلْأَخَوَاتِ لِمَنْ أَرَبْنَ وَلِلْأَخَوَاتِ لِمَنْ أَرَبْنَ (سورة النساء)

فليس لك أن تتدخل، فعندما نفقه أن المال مال الله تختلف نظرتنا للمال، هذه النقطة الأولى.

السؤال الثاني: هل المال نعمة أم نعمة؟

السؤال الثاني: هل المال نعمة أم نعمة؟ إذا إنسان ربنا أعطاه مالا هل هذا المال نعمة أم نعمة عليه والعباد بالله، الجواب:

المال موقوف على طريقة استخدامه، ابتداءً هو ليس نعمة ولا نعمة، لكن عندما تستخدمه يظهر إن كان نعمة أو نعمة، إن كسبت من حلال وأنفقت في حلال، فالمال نعمة من نعم الله عليك، لأنك كسبته من الحلال وأنفقت في الحلال، أما إن كسبت من حرام أو أنفقت في حرام، فهو من أعظم المصائب، والله من أعظم المصائب، يصيح المال عندما يُكسب من حرام أو يُنفق في حرام، يقول صلى الله عليه وسلم:

{ لَا تَزُولُ قَدَمَا عَنِّي يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ فِيهِ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبْتَهُ؟ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ؟ وَعَنْ

جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ؟ }

(أخرجه الترمذي والدارمي والبيهقي)

كان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، وهو من أغنياء الصحابة، يقول: < فهم حقيقة المال، هو نعمة عندما تصون به عِرْضَكَ، تُطِيعُ أَهْلَ بَيْتِكَ وَأَوْلَادَكَ وَعَائِلَتَكَ، ثُمَّ تَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ بِالْإِنْفَاقِ فِي وَجْهِ الْخَيْرِ.

السؤال الثالث: هل المال دليل على محبة الله تعالى للعبد؟

السؤال الثالث: هل المال دليل على محبة الله تعالى للعبد؟ العوام لهم بعض الكلمات في هذا القبيل، ويعتقدون أن من يُعطيه الله المال فإنه يُحبُّه، ليس كذلك، انظروا إلى قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (15)

(سورة الفجر)

هكذا فهمها، رَبِّي يُكْرِمُنِي، رَبِّي يُحِبُّنِي، قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (16)

(سورة الفجر)

صَيَّقَ عَلَيْهِ فِي الرِّزْقِ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
كَلَّا ۚ بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (17)

(سورة الفجر)

فَهْمُكُمْ ليس صحيحاً، المال ليس العطاء فيه محبة، وليس المنع منه كرهاً، أبدأ، الإعطاء ابتلاء والمنع ابتلاء (إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ) فهو امتحانٌ في الحاليتين، عند العطاء وعند المنع، لو كان الله يُعطي المال لمن يُحب لما أعطاه لمن لا يُحب، أعطى الله تعالى المال لعبد الرحمن بن عوف وهو يُحبه، فهو من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكنه أعطاه لقارون وهو لا يُحبه، إذاً ليس مقياساً، فالمال ليس مقياساً على محبة الله تعالى للعبد أبدأ، هذه الأسئلة الثلاث أجوبتها تلخص أهم البنود في نظرة الإسلام للمال، أولاً المال مال الله، ثانياً المال ليس نعمة ولا نعمة وإنما موقوفٌ على طريقة استخدامه، ثالثاً المال ليس مقياساً لمحبة الله للعبد.

مال أخيك هو مالٌ لك من حيث وجوب المحافظة عليه:

الآن الله تعالى مالك كل شيء كما قلنا، لأنه يملك الأشياء خلقاً وتصرفاً ومصيراً، أنت تملك بيتك الآن هل أنت أنشأته؟ وغالباً لا، هل لك أن تتصرف به كما تشاء تصرفاً مطلقاً؟ الجواب لا، هل تضمن أن يبقى مصيره إليك دائماً؟ الجواب بالتأكيد لا، في لحظة واحدة يغدو للورثة، أما الله تعالى فيملك الأشياء كلها خلقاً وتصرفاً ومصيراً، ثم رزقك المال، ثم ملكك إياه ملكاً مؤقتاً وسماه مالك، قال هذا مالك لك ملكك إياه، بل سمي مال أخيك مالا لك، مال أخيك هو مالك في المصطلح القرآني، من زاوية واحدة وهو أنه يجب أن تحافظ عليه وكأنه مالك، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا قَرِيبًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (188)

(سورة البقرة)

المُنْبَادِرُ إلى الذهن أن يكون قول الله تعالى: وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ) لأنَّ مال أخيك هو مالٌ لك، وإضعافه إضعافٌ لك، وقوّته قوّة لك، فمال أخيك مالٌ لك من حيث وجوب المحافظة عليه، كقوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَائِكُمْ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۚ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۚ بِئْسَ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (11)

(سورة الحجرات)

وهل يلزم الإنسان نفسه؟ يتحدث عن نفسه بسوء؟ لكن عندما تلمز أخاك المسلم وتحدث عنه بسوء، فأنت في الحقيقة تلمز نفسك، الاعتداء على الآخرين اعتداءً على ذاتك، يُشبهه قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (29)

(سورة النساء)

قتل الإنسان والعياذ بالله لأخيه كأنه يقتل نفسه.

أكل المال بالباطل له صورٌ كثيرة:

أيُّها الإخوة الكرام: أكل المال بالباطل له صورٌ لا يتسع المقام لذكرها، إمّا أن يكون بطريق الغصب، و التهب، والسرقة، والغش، والجداع، والظلم، وقطع الطريق، يظلم أخاه ويأخذ ماله غنوةً، وقد يكون بطريق اللهو كالميسر، بلعب القمار والعياذ بالله، أو أجرة المغني، فهو يأكل مالا بالباطل، أو يكون بطريق الرشوة والخيانة والاحتكار، صور أكل المال الباطل كثيرة، أن يأكل الإنسان مال غيره بالباطل، انظروا إلى قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجْرَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ (36)

(سورة محمد)

الله تعالى مالِك المال، ومالِكك، ومالِك كل شيء، يقول لك: أنا لا أسألك مالَك، المال لك، لن أسألك إِيَّاه، هو لك، قال: (وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنْ يَسْأَلْكُمْوهَا فَيَخُوعَكُمْ تَبَخَّلُوا وَبُخِرْ أَصْعَاتُكُمْ (37)

(سورة محمد)

بمتنع الإنسان ويتشبت بالمال (وَبُخِرْ أَصْعَاتُكُمْ) قال لك: أريد منك ربع العشر والباقي لك، ربع العشر للفقراء والمساكين عندما تملك النصاب وبحول الخول والباقي لك، لن أسألك إِيَّاه إلا أن تتطوع، إلا أن تصدق، إلا أن تحسب، سأرغبك بالإنفاق لكن لن أسألك إِيَّاه إجباراً.
انظروا إلى المولى جلّ جلاله كيف يحترم خصوصيتك في المال، وكأنه يقول لنا: يا عبادي أنا لا أسألك مالَك، فكيف يحلّ لك أن تأخذ مال أخيك بغير طيب نفسٍ منه؟! كيف يحلّ لك أن تعتدي على مال أخيك؟!

ليس لك من مالِك إلا ما أكلته:

أيها الإخوة الكرام: يقول صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع وهو يودّع أصحابه، قال:

{ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَبَ النَّاسَ فَقَالَ: أَلَا تَذَرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: حَتَّى طَنَّنَا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بغير اسمه، فَقَالَ: أَلَيْسَ بِيَوْمِ النَّحْرِ قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: أَيُّ بَلَدٍ هَذَا، أَلَيْسَتْ بِالْبَلَدَةِ الْحَرَامِ قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ، وَأَبْشَارَكُمْ، عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحَرَمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْعَائِبَ، فَإِنَّهُ رَبٌّ مُبَلِّغٌ يُبَلِّغُهُ لِمَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ فَكَانَ كَذَلِكَ، قَالَ: لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَصْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ حُرْقِ ابْنِ الْحَضَرَمِيِّ، جِئَ حَرَقَهُ جَارِيَةٌ بِنُ قَذَامَةٍ، قَالَ: أَسْرِفُوا عَلَى أَبِي بَكْرَةَ، فَقَالُوا: هَذَا أَبُو بَكْرَةَ يَرَاكَ، قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: فَحَدَّثَنِي أُمِّي عَنْ أَبِي بَكْرَةَ، أَنَّهُ قَالَ: لَوْ دَخَلُوا عَلَيَّ مَا بَهَشْتُ بِقَصِيَةِ {

(صحيح البخاري)

لماذا قال الله تعالى: (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ) ولم يقل: لا تأخذوا أموالكم؟ مع أنّ الأكل أحد وجوه الانتفاع، يعني الإنسان المال الذي في جيبه يأكل منه، ويودع في المصرف منه، ويشتري جوالاً منه، ويشتري أثاثاً للبيت منه، لماذا ذكر الأكل قال: (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ) كأن الله تعالى يُشير إلينا، أنه ليس لك من مالِك إلا ما أكلته والباقي كله زيادة، وهذا مصداق لقوله صلى الله عليه وسلم:

{ أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقْرَأُ: {الْهَاجُ الْكَافِرُ}، قَالَ: يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي، مَالِي، قَالَ: وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكٍ إِلَّا مَا أَكَلْتُ فَأُفْتِنْتُ، أَوْ لَيْسَتْ فَأُبْلِغْتُ، أَوْ تَصَدَّقْتُ فَأَمْضَيْتُ؟! }

(صحيح مسلم)

رصيدي في البنك، أموالي التي بين يدي (يقول ابن آدم: مَالِي، مَالِي، قَالَ: وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكٍ إِلَّا مَا أَكَلْتُ فَأُفْتِنْتُ، أَوْ لَيْسَتْ فَأُبْلِغْتُ، أَوْ تَصَدَّقْتُ فَأَمْضَيْتُ؟! هذه وجوه الانتفاع بالمال، والباقي رصيدٌ سُحَّسَبَ عليه دون أن تنتفع به، فكيف تقول مالي؟!

(وَهَلْ لَكَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَقْنَيْتَ، أَوْ لَبَسْتَ فَأَتْبَيْتَ) هذه للدينا، والثالثة للآخره **(أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْصَبْتَ؟!)** يبقى أجرها، ويدوم أجرها إلى أبد الأبدن نعيماً في الجنة، والباقي؟ ليس لك، هو مُسجَل عليك وسُحِبت عليه دون أن تنتفع به، فلماذا تُعلي صوتك وتقول: مالي مالي؟ لذلك قال تعالى: **(وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمُ)** المال للأكل، الباقي من مُتطلبات الحياة كلها زيادات.

سِيَّاتُ الْمُعَامَلَاتِ تُذْهِبُ حَسَنَاتِ الْعِبَادَاتِ:

أُثِمَّا الإِخْوَةُ الْكَرَامُ: النبي صلى الله عليه وسلم كان بين أصحابه فقال يوماً:

{ أَتَذَرُونِ مَا الْمُفْلِسُ؟ قالوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فُيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ قَبِيتَ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ }

(صحيح مسلم)

حَدَّثَنَاهُ عَنْ إِبْلِيسَ مُؤَقَّتٍ، وَحَدَّثَنَاهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ إِبْلِيسَ دَائِمٍ، حَدَّثَنَاهُ عَنْ مَفَالِيسِ أَهْلِ الدُّنْيَا، وَحَدَّثَنَاهُ عَنْ مَفَالِيسِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، حَدَّثَنَاهُ عَنْ إِبْلِيسَ قَدْ يَأْتِي بَعْدَهُ غَنَى وَبِسْتَعْنَى صَاحِبِهِ، وَحَدَّثَنَاهُ عَنْ إِبْلِيسَ لَا غَنَى بَعْدَهُ، حَدَّثَنَاهُ عَنْ إِبْلِيسَ رُبَّمَا لَا يَصِيرُ بَيْنَ صَاحِبِهِ، وَحَدَّثَنَاهُ عَنْ إِبْلِيسَ مُصِيرِ الْمُفْلِسِ فِيهِ إِلَى النَّارِ، هَذَا هُوَ الْإِبْلِيسُ الْحَقِيقِيُّ، لِذَلِكَ: سِيَّاتُ الْمُعَامَلَاتِ تُذْهِبُ حَسَنَاتِ الْعِبَادَاتِ، يَأْتِي بِصَلَاةٍ وَزَكَاةٍ وَصِيَامٍ، وَسِيَّاتُهُ فِي الْمُعَامَلَاتِ أَذْهَبَتْ حَسَنَاتِهِ فِي الْعِبَادَاتِ، فَلْيَنْتَبِهِ الْإِنْسَانُ إِلَى مُعَامَلَاتِهِ، لَاسِيَّمَا فِي الْمَالِ.

أُثِمَّا الإِخْوَةُ الْأَحْبَابُ: كَانَ سَيِّدُنَا عَمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: "لَا يَبِيعُ فِي سَوْقِنَا هَذَا إِلَّا مَنْ تَفَقَّهَ".

اليوم في الشركات يضعون مستشاراً إدارياً، مستشاراً قانونياً حتى لا يُخطئ في القانون فتذهب أمواله سُدىً، ومستشاراً إدارياً، ومستشاراً لتعيين الموظفين، وكل شيءٍ له مُستشارٌ لكنه ينسى المُستشار الشرعي، أن يسأل من أهل العلم من يقول له: هل هذا حلالٌ أم حرام؟ فيه ربا أم ليس فيه ربا؟ فيه غشٌّ للمسلمين أم ليس فيه غشٌّ؟ لا يُعَيِّن مستشاراً شرعياً، يُعَيِّن مستشاراً لكل شيءٍ إلا أن يستشير الشرع في أمر دينه، وهو الأخطر والأهم، وهو الذي سُدِّخِلَ صَاحِبُهُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ شَرَعَ اللَّهُ تَعَالَى، وَلَا يَسْأَلُ عَنْهُ لِلْأَسَفِ.

حُرْمَةُ الْمَالِ الْعَامِ:

أُثِمَّا الإِخْوَةُ الْكَرَامُ: وَمِنْ حُرْمَةِ الْمَالِ حُرْمَةُ الْمَالِ الْعَامِ، الَّتِي لَا يَنْتَبِهُ لَهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، يَقُولُ لِكَ: أَنَا لَمْ أَسْرِقْ مِنْ قُلَانٍ، مَا أَخَذْتُ مَالَ أَحَدٍ، أَنَا أَخَذْتُ مِنْ مَالِ الدَّوْلَةِ، أَيْ أَخَذْتُ مِنَ الْمَالِ الْعَامِ، عِنْدَمَا أَخَذْتُ مِنْ قُلَانٍ مِنَ النَّاسِ سُبْحَانُكَ فَلَا نَ مِنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَكِنْ عِنْدَمَا أَخَذْتُ مِنَ الْمَالِ الْعَامِ الَّذِي هُوَ لِمَجْمُوعِ النَّاسِ، سَيَقِفُ مَجْمُوعُ النَّاسِ لِيُحَاجُّوكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَالْمَالُ الْعَامُ لَيْسَ مُبَاحاً، وَلَيْسَ لِأَكْلِ مَنْه مَن شَاءَ مَا شَاءَ، وَيَقُولُ أَنَا لَا أَخُذُ مِنْ مَالِ النَّاسِ أَنَا أَخَذْتُ مِنَ الْمَالِ الْعَامِ، الْمَالُ الْعَامُ لِمَجْمُوعِ النَّاسِ.

لِذَلِكَ أُثِمَّا الإِخْوَةُ الْكَرَامُ: شَدَّدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ فَقَالَ:

{ مِنْ اسْتَعْمَلَنَاهُ عَلَى عَمَلٍ فَرَزَقْنَاهُ رِزْقًا فَمَا أَخَذَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ غُلُولٌ }

(أخرجه أبو داود)

استعملناه وأعطيناه راتباً، ثم أصبح يأخذ بعد ذلك وفوقه من الناس فهو غلول.

{ اسْتَعْمَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا مِنَ الْأَسَدِ، يُقَالُ لَهُ: ابْنُ اللَّثْبِيَّةِ، قَالَ عَمْرُو: وَابْنُ أَبِي عُمَرَ، عَلَى الصَّدَقَةِ، فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ: هَذَا لَكُمْ، وَهَذَا لِي، أَهْدِي لِي، قَالَ: فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمِثْبَرِ، فَحَمَدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: مَا بَالُ عَامِلٍ أَبْعَثُهُ، فَيَقُولُ: هَذَا لَكُمْ، وَهَذَا أَهْدِي لِي، أَفَلَا قَعَدَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ، أَوْ فِي بَيْتِ أُمِّهِ، حَتَّى يَنْطَرَّ أَبْهَدَى إِلَيْهِ أَمْ لَا؟ وَالَّذِي تَعَسُّ مُحَمَّدٌ بِيَدِهِ، لَا يَتَأَلَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْهَا شَيْئاً إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى عُنُقِهِ يَغِيرُ لَهُ رُغَاءً، أَوْ يَقْرَهُ لَهَا خَوَارِ، أَوْ سَاءَهُ تَغِيرُ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى رَأَيْنَا غُفْرَتِي إِبْطِيهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ، هَلْ بَلَغْتُ؟ مَرَّتَيْنِ }

(صحيح مسلم)

لو كنت في بيت أبيك وأهلك هل كان الناس أهذا؟! أهذا لك عاملٌ على الصدقة، أهذا لأنهم يريدون منك شيئاً، أيت لم تفقه الحقيقة ظننت أن المال لك **(وَالَّذِي تَعَسُّ مُحَمَّدٌ بِيَدِهِ، لَا يَتَأَلَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْهَا شَيْئاً)** من أموال الزكاة والصدقات **(إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى عُنُقِهِ يَغِيرُ لَهُ رُغَاءً، أَوْ يَقْرَهُ لَهَا خَوَارِ، أَوْ سَاءَهُ تَغِيرُ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى رَأَيْنَا غُفْرَتِي إِبْطِيهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ؟ مَرَّتَيْنِ)**.

أهمية المال العام لا تقلُّ عن أهمية المال الخاص يا كرام، فالمؤمن ينبغي أن ينتبه إلى أن لا يأكل من مال أخيه، ولا من مال إخوته، لا رِشوةً ولا بمُسَمَّى آخر أو هدية، واليوم أرجوكم من على هذا المنبر، أن تُعين الناس على العودة إلى ترك الرشوة وترك المال الحرام، لأنَّ المواطن اليوم هو من يُعلم الموظف.

عوّدوا الناس على ترك الحرام:

يعني كثيرٌ من شعبنا اعتاد أنه يريد أن يدفع المال، فالموظف إذا جاء طاهراً نظيفاً يريد أن يكتفي براتبه على قَلْتِه، وأن يكتفي بالحلال عن الحرام، نحن من نُعلِّمه أن خُذ الحرام يجب أن تأخذ، وعندى نماذج من ذلك، شيءٌ منها والله مُصْجِك وطريف، لأنه لا بُدَّ أن يدفع، وكأنه لو لم يدفع يشعُر أنَّ شيئاً في داخله يُحركه ليدفع المال لأنه تعوّد، عوّدوا الناس اليوم على ترك الحرام، المال الحرام مرفوض، فليأخذ من الحلال ما شاء، لكن الحرام مرفوض، حتى تُعين دولتنا بعد هذه العقول التي كان الفساد فيها مُمنهجاً، وكُنّا نقول للناس أنت مُضطّر الناس كلها هكذا، لن تمشي معاملتك من غير أن تدفع، ماذا أقول لك؟ الإنم عليه وليس عليك، كُنّا نُبرّر لأنه ما عندنا حلول، اليوم لم تنتهِ الرشوة، موجودة، لكن اليوم أصبح لك صوتٌ أن تقول له لن أدفع، وُربما أذهب إلى المدير وأشتكي، لن أدفع بهذه السهولة، حتى تستطيع أن تُعوّد الناس على كسب المال الحلال وترك المال الحرام.

أيُّها الإخوة الكرام: حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسِبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن تُوزن عليكم، واعلموا أنَّ مَلَك الموت قد تخطّانا إلى غيرنا وسيخطئ غيرنا إلينا فلنخذ حذرنا، الكيِّس من دان نفسه وعمل لِمَا بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنّى على الله الأمانى، واستغفروا الله.

الحمد لله ربّ العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وليّ الصالحين، اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم، وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم في العالمين إنك حميدٌ مجيد.

قصة وعبرة:

أيُّها الإخوة الكرام: لَمَّا حضرت عمر بن عبد العزيز الوفاة، دخل عليه عَسَلْمَةُ بن عبد الملك وقال: <>.

يقول كُتّاب التاريخ: ثم تتبّع الناس أخبار أبناء عُمر من بعده، فرأوا أنه ما احتاج أحدٌ منهم ولا افتقر، وصدق الله تعالى جلّ جلاله في كل ما يقوله جلّ جلاله، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلْيُحْسِنِ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَاقًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (9)

(سورة النساء)

الدعاء:

اللهم اهْدِنَا فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنَا فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنَا فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لَنَا فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنَا وَاصِرْف عَنَّا شَرَّ مَا قَضَيْتَ، فَإِنَّكَ تَقْضِي بِالْحَقِّ وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ، إِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ وَلَا يَعْزُزُ مَنْ عَادَيْتَ، تَبَارَكَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ، فَكُلِّ الْحَمْدَ عَلَى مَا قَضَيْتَ، وَلَكِ الشُّكْرُ عَلَى مَا أُنْعَمْتَ وَأَوَلَيْتَ، نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ.

اللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ.

اللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ رِضَاكَ وَالْجَنَّةَ وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ سَخَطِكَ وَالنَّارِ.

اللهم اِرْزُقْنَا مَا لَا حِلَّالَ طَبِيباً يُعِينُنَا عَلَى طَاعَتِكَ، اللَّهُمَّ اصْرِفْ عَنَّا مَا لَا حَرَامَ يُعِينُنَا عَلَى مَعْصِيَتِكَ.

اللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الْمَالِ حِلَالَهُ وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ حَرَامِهِ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللهم اغْنِنَا بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ، اللَّهُمَّ اغْنِنَا بِالْعِلْمِ وَجَمَّلْنَا بِالْجِلْمِ وَأَكْرَمْنَا بِالتَّقْوَى، واجعل خير أعمالنا ما فيه رضاك، واجعل خير أيامنا يوم نلقاك وأنت راضٍ عَنَّا أنتَ حَسْبُنَا عَلَيْكَ اتِّكَلْنَا.

اللهم كُنْ لَاهِلُنَا فِي كُلِّ مَكَانٍ يُذَكَّرُ فِيهِ اسْمُكَ، فِي عَزَّةٍ وَفِي فَلَسْطِينَ وَفِي السُّودَانِ، فِي كُلِّ مَكَانٍ، كُنْ لَهْمَ عُوناً وَمُعِيناً، وَنَاصِراً وَحَافِظاً وَمُؤَيِّداً وَأَمِيناً.

اللهم أطعم جائعهم، واكسُ عريانهم، وارحم مُصابهم، وآو غريبهم، واجعل لنا في ذلك عملاً مُتَقَبِّلاً وَاغْفِرْ لَنَا تَقْصِيرَنَا فَإِنَّكَ أَعْلَمُ بِحَالِنَا.

ابْسُطْ أَمْنَكَ وَأَمَانِكَ فِي رِبْعِ بِلَادِنَا، وَاصْرِفْ عَنْهَا كَيْدَ الْكَائِنِينَ، وَمَكْرَ الْمَاكِرِينَ، وَحَسَدَ الْحَاسِدِينَ، وَوَقِّقِ الْفَائِضِينَ عَلَى بِلَادِنَا لِمَا فِيهِ مَرْضَاتُكَ، وَلِلْعَمَلِ بَكْتَابِكَ وَبِشَّتَةِ نَبِيِّكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.